

بعد الفشل في غزة ولبنان

الجيش الصهيوني يترنح

فلسطين / عدنان أبو عامر

انتقامية تهدف لتفريغ غضب وخيبة أمل الجيش، مسافة كبيرة جداً.

وفي الوقت الذي توقع فيه المراقبون أن ينطلق الجيش لضرب أهداف عسكرية قد تبدو «مشروعة» في نظر الرأي العام الإسرائيلي والدولي، فقد حلقت طائرات الهليكوبتر و(اف ١٦) لتتصّف منازل الفلسطينيين وتجمعاتهم الاضطرابية كما حصل مع عائلة غالية، وهكذا بدلا من أن ينقذ الجيش سمعته المتدهورة، ها هو يكسر ظهر (إسرائيل) بعملية التي أضعفت مصداقية موقفها، وأثارت حولها ردود فعل لم تكن تتوقعها وتقدرها.

هذه الوقائع المحرجة دفعت بآراء جريئة إلى العلن داخل أوساط الجيش، لتعلن بأن العمليات التي تنفذها قوى المقاومة تتخذ من كراهية (إسرائيل)، وهي «كبرميل بارود من غير قعر»، ولذلك فإن معالجتها لا تتم بالوسائل العسكرية فقط كما هو الحال مع أقطار الصيف، وفي اعتراف صارخ على فشل العملية الإسرائيلية في غزة بعد مرور ثلاثة أشهر على انطلاقها أكد الزعيم اليساري يوسي سريد أنه إلى أن تفضل «أقطار الصيف» فعلها، سننسى تماماً السبب الذي أدى إلى انهيارها، وكلما طال زمن العملية فقد ابتعدت عن تحقيق هدفها الأساسي، إنقاذ الجندي جلعاد.

التخبّط العسكري في لبنان

بينما كان الجيش الإسرائيلي غارقاً في المستنقع «الغزي»، جاءت المقاومة اللبنانية لتزيد من ورطته المحكّمة، فقد شكّلت عملية «الوعد الصادق» منعطفاً دراماتيكياً وتحولاً عسكرياً في مسيرة المقاومة، لاسيما على صعيد أثارها إسرائيلياً، وخاصة تبديد هيبة الجيش وتآكل قوة الردع لديه، ولعل العملية العسكرية الإسرائيلية التي أسماها «تغيير الوجهة» جاءت للتعبير عن عمق الأزمة التي تمر بها (إسرائيل) من خلال حجم العنف وآثار الدمار الذي خلفته في الأراضي اللبنانية، وبالتالي وقوع الجيش والحكومة وأجهزة الأمن في أخطاء متلاحقة واخفاقات متكررة. منذ اللحظة الأولى لاندلاع الحرب في لبنان، وفيما الحرب دائرة في غزة، راجت مقولة مفادها أن

مسؤوليتهما عن وقوع هذه العملية، وألقى كل منهما سلاطاً مليئة من الغسيل القذر على بعضهما لاسيما وأن هدف العملية لم يكن جماعة عاجزة من المسنين، وليس روضة أطفال في كيبوتس، إنه موقع عسكري محصن من الطراز الأول.

كان من الطبيعي أن «يثأر» الجيش لنفسه، عبر شن حملته العسكرية «أقطار الصيف» التي ما زالت مستمرة حتى كتابة هذه السطور، وهي عملية تتجاوز أهدافها المعلنة المتعلقة باستعادة الجندي في غزة، أهداف تتلخص أساساً في «جباية ثمن» العملية من الفلسطينيين الذين شكلوا الحاضن الأساسي لقوى المقاومة، ويكلمات أقل لباقة، عقوبة على المذلة العسكرية التي تجلت في «الوهم المتبدد».

لم تحقق «أقطار الصيف» النتائج المرجوة التي وضعها قادة الجيش وجرنالاته، وعلى رأسها محاولة استعادة القدرة الردعية المفقودة، لكن الجيش انطلق في غزة من خلال عملية متلثمثة ليست موجهة مباشرة إلى تحقيق الهدف المعلن وهو إعادة الجندي الأسير! وطالما أن «منطق الردع يكمن في وجوده الخفي»، كما تقول العلوم العسكرية، فإنه ما أن يحاول الطرف الرادع التدخل بصورة عنيفة حتى يتبين أنه قد بدأ يتلاشى، الأمر الذي دفع جنراً متقاعداً للإعلان بجرأة غير مسبوقة أن المسافة بين شن عملية ذكية لإطلاق سراح الجندي، وبين عملية

صيف حار مرّ به الجيش الإسرائيلي هذا العام، بدأ بعاصفة «الوهم المتبدد» في غزة، وتوقف بإعصار «الوعد الصادق»، مما ينبئ بأن يليه خريف ليس أقل قسوة من الصيف، بحيث تتساقط - كما ورق الأشجار- رؤوس كبيرة في المؤسسة العسكرية، ربما تكون أولها قادة الجيش ورئيس هيئة أركانها.

تُرى ما الذي حدث للجيش الذي دارت حوله الأساطير والخرافات، وعلى رأسها أسطورة الجيش الذي لا يقهر، حتى تتكاثر حوله الشكوك، وتتزايد المطالبات بإجراء المزيد من التحقيقات حول الإدارة الفاشلة للحرب، سواء تلك التي دارت في شوارع غزة، أو على تخوم فلسطين المحتلة في حدودها الشمالية، أكثر من ذلك، لماذا باتت الصناعات العسكرية الإسرائيلية وعلى رأسها دبابة الميركافاه مثاراً للتندر بين جيوش العالم؟!.

أقطار الصيف وأثارها العكسية

شكّلت عملية «الوهم المتبدد» التي نفذتها قوى المقاومة بقيادة كتائب القسام في غزة، بداية لإثارة الشكوك حول القدرات «الخرافة الحارقة» للجيش الإسرائيلي، وفشل الجيش والشبابك معاً في الوصول إلى ما يطلق عليه ضباط الأمن مصطلح «شركاء السر»، الذين خططوا للعملية، الأمر الذي جعل الشابك والجيش، يتبادلان الاتهامات حول

